جماليات المكان
في
شعر ظافر الحدّاد

دكتور/ نجوي معتصم أحمد
المدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة بني سويف

الملخص

يمثل المكان الحيز الأكبر في حياة الإنسان، ففيه يُولد، وفيه يعيش وإليه يعود بعد الموت.

وقد احتلت ظاهرة المكان حيزًا كبيرًا في نسيج نص ظافر الحداد الشعري، فهو واحد من الناس، يعيش في مكان، يؤثر في تشكيله، كما يؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، فلا جرم إذن أن تجد الباحثة انعكاسات كثيرة لهذا التأثير و التأثر بين الإنسان الشاعر والمكان.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة صورة المكان في شعر ظافر الحداد، وكشف جمالياته من خلال إجراء عملية إحصائية لبعض المفردات المكانية ودلالاتها في شعره، والذي كان سببًا لاختيار الباحثة له ، وذلك من خلال مسيرة حياته وشعوره بالغربة، بسبب انتقاله بين المدن المختلفة، فقد انتقل من مدينة الإسكندرية – موطنه الأصلي – المفعمة بالجمال والمكللة بمفاتن الطبيعة الخلابة إلى القاهرة حاملًا رايةَ شعره الذي يفيض بالعذوبة والرقة، وينبض بالعواطف الصادقة التي تجسد معاناته وآلامه، كما تجسد أيضًا أفراحه وآماله.

ويخلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها إبراز دور جماليات المكان في شعر ظافر الحداد، الذي يتميز بتنوع وتعدد المكان في ديوانه، ويكشف عن شخصية مبدعة.

الكلمات المفتاحية: المكان، الجمال، ظافر الحداد.

Place figures of speech in the poetry of Zafer El-Haddad

Abstract:

Place is considered the biggest space in human life where he is born, lives and comes back after death.

Place phenomenon has occupied big space in the text of Zafer El-Haddad's poetry. He is a human living in place affecting its form. Place affects all the details of the poet's life. No wonder if the researcher finds a lot of reflection for the effect and the result between a poet and place.

This research aims to clarify the picture of place in Zafer El-Haddad's poetry and discovering its figures of speech through doing a counting, process for place, vocabulary and their significance in his poetry. Which was the reason why the researcher chose it, because it considered the real experience with place. We can find this through his life and his feeling of foreigners.

As for his moving between different cities. He has moved from Alexandria – his homeland – which full of beauty and the crowded charms of the fascinating nature to Cairo having his poetry ensign which filled with charming and sensitivity, and pulsates with true emotions which embodies his suffering and pains, as it embodies also his merriments and hopes.

At the end, this research aims to some returns. The most important of them are signalizing the role of place beauties in Zafer El-Haddad's poetry which distinguish by variety and multitude of places in his poetry which also discloses his creative persona.

Key words:

Place, beauties, Zafer El-Haddad

المقدمة:

امتاز الشعر العربي منذ القدم بأنه شعر مكاني بكل مفرداته وصوره وأبعاده، وذلك في كافة الأجناس الأدبية، بدءًا بالوقوف على الأطلال في العصر الجاهلي، وصولاً إلى تقليد تلك المقدمات الطللية في العصر الحديث.

وفي هذا ما يدل على خصوصية المكان لدى الأديب أيًا كان شاعرًا أو ناثرًا، فالشاعر هو إنسان تربطه علاقات فنية بالمكان، فهو يحسّ بالمكان بقلبه ومشاعره .

ويشكل المكان في شعر ظافر الحداد ظاهرة بارزة فيه، إذ أصبح المكان جزءًا لا يتجزأ من حياته، وقد تجاوز عنده البعد الجغرافي والهندسي، ليصبح مكانًا له أبعاد جديدة، ارتبط الشاعر من خلالها بعلاقات متعددة.

ارتبط المكان عند شاعرنا – بشكل مباشر – ارتباطًا وثيقًا بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كما ارتبط المكان عنده بحالاته النفسية، لذا يحاول الشاعر إبراز تلك الجوانب من خلال صوره الشعرية معتمدًا على خياله الشعري الواسع.

مشكلة البحث:

إن الحديث عن جماليات المكان في الشعر له أبعاد مختلفة تستوجب تقصي الحقائق عن طبيعة المكان وموضوعاته وصوره ذات الأبعاد والدلالات المختلفة، وقد تبلورت إشكالية هذا البحث في التساؤلات الرئيسة التالية:

- ماهية المكان في المنظور اللغوي والفني.
- أنماط المكان في شعر ظافر الحداد.
- كيف تمظهرت الجمالية الفنية للمكان في شعر ظافر الحداد.

أهمية البحث:

البحث سيعود بالنفع على الأدب العربي بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة، وذلك من خلال إجراء دراسة علمية تبحث في جماليات المكان في شعر ظافر الحداد، لتكون إضافة جديدة لتلك الجماليات المكانية.

أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى الكشف عن المعالم المهمة في شعر ظافر الحداد المكاني، كما يقوم بسبرها بما يتلاءم وطبيعة الرؤى الجمالية المنبثقة لدى الشاعر.

- الكشف عن الجوانب الجمالية والدلالية للمكان في شعر ظافر الحداد من خلال مفردات المكان التي ترددت في أشعاره.

حدود البحث:

ديوان شعر ظافر الحداد.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الجمالي كمرجعية لإظهار الجوانب الجمالية في شعر ظافر الحداد، كما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي كأدوات للتحليل المختلفة، تستنطق من خلالها النصوص الشعرية الخاصة بالمكان في شعر ظافر الحداد، ساعية إلى الوقوف على سمات هذه النصوص الشعرية والتوصل إلى أبعادها الفنية والدلالية.

التمهيد

إضاءات عن الشاعر والمصطلح:

يُعد المكانُ عنصرًا مهمًا من عناصر التجربة الأدبية؛ ذلك أنَّ العمل الأدبي إذا فقد مكانته، فقدْ فقد أصالته وخصوصيته.

ويمثل المكان خصوصيته عند الشاعر المصري ظافر الحداد، وتأخذ هذه الخصوصية أبعادًا هامة من حياته الشخصية وعصره الذي شهد أحداثا ووقائع عدة، كالحروب الصليبية التي جعلت الشعراء يشاركون فيها، مما أدى إلى استحداث أغراض في الشعر.

وتلقى الباحثة ببعض الضوء على حالة الأدب – خاصة الشعر – آنذاك، فنجد أن الأدب قد نهض نهضة واسعة، وازداد انتعاشاً وأن ثمة عوامل قد ساعدت على انتعاش الأدب وازدهاره في العصر الفاطمي.

وإن أول ما يتجلى من هذه العوامل، هو: "استقرار الدولة، وثبات الأمور، وبقاء الأحوال مستقرة إلى زمن طويل وفي فترات متوالية".[1] فقد أمِنَ الناس على أنفسهم، وأقبلوا على الحياة واستمتعوا بمباهجها، وعظم حظهم من المرح والانطلاق.

ومن عوامل ازدهار الشعر أيضًا في هذا العصر، ثراء الفاطميين وبذخهم الكبير الذي لم يكن له مثيل. ومن مظاهر هذا الثراء تطور الحياة العمرانية والحضارية في مصر، فقد شيد الفاطميون المدن والقصور الفخمة وزينوها، حتى ليخيل للرائي أنها قد شُيدت من أحجار كريمة، كما اهتموا بالمتنزهات وبناء المساجد والمكتبات ودور العلم، حتى بلغت القاهرة أيامهم مبلغاً من البهاء والجمال والعظمة، نافست فيه بغداد عاصمة العباسيين. [2]

ومن عوامل ازدهار الشعر أيضًا، أن الفاطميين كانوا عربا يفهمون الشعر، ويدركون محاسنه ويهتزون لروعته وجمال ديباجته، وكانوا يتشبهون بالعباسيين، ويترسمون خطاهم، يشيدون عاصمتهم على العمل والأدب، فكانت القاهرة مقرًا لمجدهم العلمي، وملتقى طلاب الدرس والبحث.

---

١ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨.

٢ انظر، ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، طـ٢، ١٩٨٥م، ١/ ٢٩٧.

وقد أولى الفاطميون الشعر والشعراء عنايتهم، وقربوا الشعراء وأغدقوا عليهم الأموال الكثيرة والعطايا، "كما حرص الشعراء على إتقان الشعر وإجادته، وكثرة الإنشاد، فكثر الشعر وكثر إنتاجهم. [١]

وقد ارتأت الباحثة وهي في مقام دراسة ملمح بارز في شعره، وهو جماليات المكان، أن تلقي ببعض الضوء على أبرز تفاصيل حياته، والتي كانت لها تأثير قوي في تشكيل أمكنته.

هو أبو منصور ظافر بن القاسم الحداد السكندري، سُمي ظافر تفاؤلا بالظفر والفلاح، وُلد بالإسكندرية ولم تحدد المصادر سنة لميلاده، وإن كان حسين نصّار – محقق ديوانه – لم يحدد سنة لميلاده، إلا أنه يغلب على ظنه أنها كانت في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، أي أنه كان في خلافة المستنصر الفاطمي. (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ) [٢].

ينحدر من أسرة يمنية، كادحة سكنت الإسكندرية وقد كانت تمتهن الحدادة. وورث ظافر مهنة الحدادة عن أبيه، وعانى في بداية حياته من الفقر، وربما أراد أن يتخذ الشعر مهنة له.

ذاع صيته واتصل بكبار رجال العلم والأدب، في الدولة، وذاع شعره بين أهل الثغر، لكنه لم يقتنع بهذا، وما كانت شاعريته لترضى أن تظل حبيسة الثغر، لذلك فقد عقد العزم على الرحلة إلى القاهرة .

ولا ريب أن ظافرًا ظل مترددًا بين القاهرة والإسكندرية، حتى اطمأن إلى أنه يستطيع الحياة في القاهرة بصفة دائمة.

وكان دائم التلهف إلى الإسكندرية موطنه التي مثلت له الجمال والشباب والحب، فنظم أجمل ما نظم من شعر يصور مشاعره تلك.

ورد ذكره في المصادر الأدبية، نظرًا لمكانته الأدبية الرفيعة التي ميزته عن باقي شعراء الدولة ، وقد قال عنه شوقي ضيف إنه " كان أبرز شاعر عرفته مصر زمن الدولة الفاطمية[٣]

---

١ انظر، محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية (مرجع سابق)، ص ١٥٩.

٢ انظر: ظافر الحداد، شاعر مصري من العصر الفاطمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ١٣.

٣ شوقي ضيف:عصر الدول والإمارات "مصر"، دار المعارف، القاهرة،٢٠١٢، ص٢٥٦.

ثانيًا: خصوصية المصطلح: أولاً: مفهوم الجمال:

أ- الجمال لغة:

تحدثت العديد من المعاجم القديمة والحديثة عن مصطلح الجمال ، فهو عند ابن منظور:"الجمال مصدر الجميل"،والفعل "جمل"،[1] و"جمل جمالاً، حسن خلْقه وخُلُقُه"[2].

ب- الجمال اصطلاحًا:

وقد شغل الفلاسفة قديمًا وحديثًا بمفهوم الجمال، فقد اهتم أفلاطون إلى إقامة نظرية عامة في الجمال، و تناوله من خلال مباحثه في المعرفة والأخلاق والوجود، لذا فقد تناثرت أفكاره الجمالية في محاوراته التي دارت حول تلك المباحث[3].

ويتفق أرسطو مع أفلاطون في رؤيته للجمال، ويشير في كتابه (فن الشعر) إلى أهمية المنظر بوصفه أحد العناصر الستة التي تتكون فيها المأساة ،وجاءت سلسلة بعد القصة والأخلاق والعبارة والفكر، فالمنظر ثم الغناء، ويرى أرسطو أن الجمال هو التناسق التكويني، وأن العالم يتبدى في أحلى مظاهره، فهو لا يكتفي برؤية الناس كما هم في الواقع، بل كما يجب أن يكونوا عليه[4].

وفي الفضاء الشعري، ينفتح للفظة الجمال انزياح لغوي له دلالة فنية جديدة، وفن الشعر "كباقي الفنون يمتاز بقوة الإيحاء، وهو ما يتضمنه من معنى خفي إلى جانب المعنى الظاهري، فللأبيات الشعرية جوّ كما للوحة الفنية ولنغمتها معنى خاص كما للقطعة الموسيقية"[5].

٢- المكان لغة واصطلاحًا:

أ- المكان لغة:

إن للمكان أهميةً كبيرةً في حياة الإنسان، وقد تعددت تعريفاتُ المكان منذ القدم، وحتى وقتنا الحاضر، وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية، يُلاحظ أن ثمَّة تشابه ورود الكلمة التي تشير إلى الموضع،

---

١ لسان العرب،دارصادرللطباعةوالنشر، بيروت، مج ١، باب جمل.

٢ إبراهيم مصطفى أحمد الزيات،حامد عبدالقادر، محمدالنجار:المعجم الوسيط ، تحقيق مجمعاللغةالعربية، دار الدعوة،القاهرة١/١٣٦ .

٣ انظر عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، بيروت، دار العودة،، ط٣، ص ١٧٤ – ١٧٥.

٤ هالة محجوب خضر، علم الجمال وقضاياه، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط٣،ص١٣، ١٤.

٥ روز غريب: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، (مرجع سابق)، ص ٩٥.

وذُكر عند ابن منظور "أمكنة ... وأماكن جمع الجمع".[١]

ووردت المفردة في قاموس الفيروز آبادي بمعنى "الموضع، والجمع أمكنة وأماكن".[٢]

ب- المكان اصطلاحًا:

وقد اهتم عدد من العلماء والفلاسفة بمصطلح المكان، فأفلاطون يعبّر عن المكان بمصطلح فلسفي، إذ يعده "حاويًا للأشياء".[٣]

ويرى أرسطو أنه "هو نهاية الجسم المحيط، وهو نهاية الجسم المحتوى، تماس عليها ما يحتوي عليه، أعني الجسم الذي يحتوي المتحرك حركة انتقال".[٤]

واهتم بعض فلاسفة وحكماء المسلمين بالمكان، وأكدوا على أن المكان موجود، فهو عند الكندي والفارابي و بعض الفلاسفة هو "سطح الجسم الحاوي".[٥]

فالمكان – إذن – بمعناه الفيزيقي والجغرافي هو الأكثر قربًا من حياة الإنسان وخبرته، إذ أن إدراك الإنسان بالمكان إدراكًا حسيًا مباشرًا يختلف عن إدراكه للزمان، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده، هذا الجسد هو المكان.[٦]

وعلى الرغم من توافر تعريفات عديدة ومختلفة لتصورات العلماء للمصطلح، إلا أن البحث اختصر على هذه التعريفات تجنبًا للإطالة.

أما عن التعريف الفني للمكان، فترى الباحثة أن أول تعريف وصل إلى أيدي النقاد هو تعريف غاستون باشلار الذي يرى أن المكان الذي يعيش فيه الناس "ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما للخيال من تحيز".[٧]

فالخيال – إذن – من أهم السمات الفنية للمكان الذي تميزه عن بقية العلوم الأخرى؛ ذلك أن امتزاج الخيال بالمكان هو الذي ينتج مكانًا فنيًا مشبعًا بالجمال، وهذا

---

١ لسان العرب: مادة مكن.

٢ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ٦، ص ١٢٣٥.

٣ انظر عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، ،الكويت،١٩٧٥.

٤ حسن محمد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: مراجعة عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، طـ٢، ص ٣.

٥ حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص ١٧٩.

٦ انظر يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف، القاهرة، ع٦، ص ٧٩.

٧جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، طـ١١٩٨٤،ص ٣١.

٢١انظر ،عبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،ص ١٠.

يتطلب من الشاعر أن يُحلّق في عالم التأمل والخيال يُثري الصور الشعرية بأبعاد جمالية، ومن هنا برز المكان المتخيل ، ذلك هو المكان الشعري.

وللمكان أهمية كبيرة في أي عمل أدبي، سواء أكان شعرًا أم نثرًا، لأنه يمثل محورًا أساسيًا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، إذ يدخل في جدلية مع الأشخاص ونفسياتهم والأحداث ودلالاتها، ذلك أن للمكان دلالة خاصة تحكي ما في نفس الأديب. [١]

أنماط المكان في شعر ظافر الحداد:

تعددت أنساق المكان وأنماطه في شعر ظافر الحداد، بتنوع أغراضه، وبتنوع مؤثراته الداخلية والخارجية، كما أن لبنية الشاعر ومجتمعه وظروف حياته أكبر الأثر على نتاجه الشعري، وبالتالي انعكاس ذلك على تعدد أنماط المكان عند الشاعر.

وتُقسِّم الباحثة في دراستها لجماليات المكان عن الشاعر ظافر الحداد الموضوعات إلى ثلاثة أقسام:

- جماليات الأماكن الطبيعية.
- جماليات الأماكن الصناعية والحضارية.
- جماليات الأماكن التاريخية والدينية.

طامحة من وراء هذا التقسيم بيان أثر هذه الدلالات في نص ظافر الحداد الشعري.

جماليات الأماكن الطبيعية:

وهي من "أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، بل في واقع أمرها ومدى دقتها تعتبر (كذا) الخالقة لبعض فنونه، و المكونة لأكثر عناصره، فإنها تخلع عليه جميع ألوانها، وتهب له كل مظاهره".[٢]

وتشكل الأماكن الطبيعية محورًا بارزًا في شعر ظافر الحداد، وجاء شعره زاخرًا ببراعة الوصف في المناظر المائية الجميلة كالأنهار والبحار والجداول والبرك، والرياض والبساتين، ومظاهر طبيعية أخرى سترد مفرداتها في ثنايا البحث.

ويمكن تقسيم الأماكن الطبيعية في شعر ظافر إلى:

- أماكن الطبيعة الجامدة (الصامتة).

---

١ انظر، سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٧٨.

٢ عبد العظيم على قناوى: الوصف في الشعر العربي ،طبعة مصر ١٩٤٩، ٨/١.

- أماكن الطبيعة الحية (المتحركة).

أولاً: أماكن الطبيعة الجامدة (الصامتة):

وتشمل المظاهر الطبيعية كالأرض والجبال، ومظاهر الطبيعة المائية كالبحار والأنهار والوديان والروابي والكثبان.

أولاً: الأرض:

خلق الله الأرض للإنسان، ومهدها للعيش عليها والاستقرار بها، يقول عز وجل: **{وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)}**. [١]

ويتفاعل الشاعر مع الأرض بمظاهرها الجمالية التي تثري إبداعه، كما أنه يستعيض أحياناًعن ذكر بعض الظواهر المكانية المحددة بذكر كلمة الأرض لشمولية دلالتها.

وقد وظف ظافر الحداد في شعره الأرض بمعناها الواسع، لتعميق الدلالة في التعبير عما يجيش بخاطره وعواطفه، ومن ذلك قوله بمدح الأفضل: [٢](الرمل)

مادتِ الأرضُ به زهوًا على أنها من حلمه في نَصبِ

وهنا يبيّن الشاعر مدى العلاقة بين المكان وصاحبه، وعلاقة الممدوح بالأرض التي يعيش عليها، حتى أنها مادت واضطربت من عدل الخليفة وحلمه.

وتلمس الباحثة وصفاً آخر للأرض في قوله يمدح الخليفة الأفضل أيضًا: [٣](الرّمل)

ومُنير الأرضِ بالأمنِ وقد أصبحت من خوفها في غيهبِ
والذي لبّى مجيبًا صوتها بعد أن نادت بمن لم يُجب
ثم شَامت منه برقًا صادقًا لم يكن منذ خفَا بالخُلبِ
فأتاها سيلهُ محتملًا كل ذي لبّ على ذي لَبب

وتظهر قدرة الشاعر الإبداعية في الأبيات التي يمدح فيها الأفضل من خلال فكرة تجسيده للأرض، بأن جعل فيها الحياة وأنها أصبحت منيرة من أمن الخليفة.

---

١ سورة البقرة: ٣٦.

٢ ديوانه، ص ٤٨.

٣ السابق، ص ٤٧.

وتدعو شاعرنا مظاهر الأرض الجمالية والاستمتاع بجمالها حينما تزدان بالخضرة والأزهار في فصل الربيع، إذ يقول: [1](الكامل)

هذا الربيعُ أتى بأحسن منظرِ يختالُ بين مُدبّج ومُعصفر
فانهض إلى داعِي السرور وخلّني مما يُقال عذرتَ أم لم تعذُر
واسرق بنا خُلس الزمان مُبادرا والدهرُ في غفلاتِه لم يشعرِ
والروضُ يقلقه الصَّبا فيثير من أرجائه نفحاتِ مسك أذفرِ
وكأنَّ مصفر الأصيلِ خلاله وَرس يذرُّ على بساط أخضر
والشمسُ قد حوت المغاربُ شطرها فرنت بعينِ الذاهبِ المتحسر
والجو من شَفقِ الغروب مُفروز كحديقة حُفت بورد أحمرِ

فالشاعر يدعو إلى الاستمتاع بجمال الطبيعة في فصل الربيع.

الجبال:

ومن المظاهر الطبيعية التي ذكرها الشاعر في شعره المكاني، الجبال ،وها هو الشاعر يوظفها في معرض مديحه للإمام الآمر المنصور ويقول: إن فضائل الممدوح تفوق الأرض والبحر والجبال والرمال، يقول: [2](الطويل)

فضائلك الدّر الذي لو تجشمت قلائده لم يبق في الأرضِ مسود
وكيف يُكال البحرُ أم كيف توزن الـ ـجبال؟ وهل تُحصى الرمال وتنعد

إن نظرة الشاعر إلى المكان نظرة يعتليها الطموح والمعانى السامية التي تتمثل في شخصية الخليفة، فالشاعر يوظف عنصر المكان ليدل على المديح،.

وتلمس له الباحثة حنينه إلى ذكرياته الجميلة ومجالس أنسه وهو يحتضن تجاربه العاطفية على جبل المقطم[3] في مصر، إذ يقول: [4](الطويل)

وكم لي على سفحِ المقطَّم وقفة لها أثرٌ في وهدِه وهضابه
فضَضنا بها سلك الحديثِ فخلْته يميد بنا زهوا لطيبِ عِتابه

---

١ نفسه، ص ١٢٠.

٢ ديوانه، ص ١١١.

٣ المقطم: جبل مقدس في مصر، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د. ت) ١٧٧/٥.

٤ ديوانه، ص ٥١.

مظاهر الطبيعة المائية:

ويُعد العنصر المائي من العناصر المهمة في الطبيعة،إذ يمثل رمزًا للحياة ، وقد استوحى الشاعر ظافر الحداد من الطبيعة المائية الجميلة، صوره الخيالية والتعبيرية في شعره المكاني، وتوزعت اهتماماته على البحار والأنهار والجداول والخلجان والبرك، وقد وصفها وصف المعجب المتيم الهائم بجمالها، كما ذكر تجاربه وذكرياته معها.

البحار:

اهتم الشاعر بالبحار وألفها، ولا عجب في ذلك فقد نشأ بين أحضان شاطئ بحر الإسكندرية، كما كان شاعرًا رحالًا، وقد ذكر ذلك حسين نصار في دراسته عن الشاعر حين قال: "عاش ظافر صباه في الإسكندرية، ورجولته في الفسطاط، أما شبابه فتنقل – متمتعًا بنشاطه وحيويته – بين المدينتين، وربما بين مدن أخرى".[١]

وكان ظافر الحداد مولعًا بالخروج إلى البحر في الإسكندرية في الأصيل، ليغترف من جماله لحظة انعكاس الشفق الحمراء على مياه البحر الزرقاء، وجمالها، يقول: [٢](الطويل)

وآصالنا في ساحلِ البحرِ نعتلي به الرمل ما بين الكثيبِ إلى الوهدِ

ولا يدوم البحر على هذا الهدوء ، بل ينقلب إلى النقيض، بفعل حركة الرياح، يقول: [٣](الوافر)

وبحرُ الملحِ مثل الفحلِ يرغو ويزيدُ حين يقلقه الهبابُ

ويتضح للباحثة أن الشاعر إنما يستغل الصورة المكانية لخلق التوافق النفسي بينه وبين البحر،فى محاولة منه إظهار مشاعره وحالته النفسية،"وفقًا لحركات النفس التي تتجدد وتتلون مع كل عاطفة وكل شعور[٤]

الأنهار:

ويصور ظافر الحداد جماليات الطبيعة المائية في وصفه الأنهار.

وقد وردت هذه التيمة المكانية بكثرة في شعر ظافر الحداد، تدفعه الرغبة في الاستمتاع بوصف نهر النيل والتركيز على جوانب الجمال فيها، وقد جاءت أغلب هذه الأوصاف في مقطعات.

---

١ ظافر الحداد، شاعر مصري من العصر الفاطمي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٧، ص ٨٥.

٢ ديوانه، ص ٩٣.

٣ السابق، ص ٣٤.

٤ ٣٥ عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، ص٦٥.

وأول ما يطالع الباحثة في وصف الشاعر لنهر النيل، وهو يتلمس مواطن الجمال والألفة فيه قوله:[١](المنسرح)

لله يوم ،أنالـه النيلُ لحسنه جملةٌ وتفصيلُ
في منظرٍ مشرقٍ على خضر كأنه في الظلامِ قنديلُ
تبدي لنا جانبًا جزيرته أشياءَ فيها للعينِ تأميلُ
ورقمه الجسُر وتفريكه الـ ـموجُ وتكُ للخليج بجميل

وتلمس له الباحثة شاهدًا آخر في نفس المعنى، يقول: [٢](الكامل)

ولله مجرى النيل فيها إذا الصّبا أرتنا به في سيرها عسكرًا مُجرا
فشطّ يهزّ السّمهرية ذبّلا ونهرٌ يهزّ البيضَ هندية تُبرا
إذا مدّ حاكي الورد غضا، وإن صفا حكى ماؤه لونًا، ولم يعدهُ بسرا

فالشاعر يتخيل النيل في فيضانه كأنه مرفوع فوق أيدي العسكر، فيتغير لونه ويسيل طميه بسبب الفيضان.

الخليج:

ويهتم الشاعر أيضا بموارد المياه الأخرى ويسعى إلى ذكر مظاهر الجمال فيها، ومن هذه الموارد ، تلمس الباحثة عند الشاعر وصفًا للخلجان، ، يقول: [٣](الكامل)

هذا الخليج فمرحبًا بزمانِه يا حبَّذا الآصال بين جنانه
فامرح بطرفك كيف شئت ترى به معنى يفك القلب من أحزانِه
تسري الصِّبا في جانبيه عليلةَ فيثور عرفُ المسك من ريحانِه

وله وصفٌ آخر للخليج، يقول، وقد تأثرت نفسه وآنست روحه بطبيعة الإسكندرية الجميلة، يقول قد استهوته هذه الظاهرة الجمالية، يصف خليج الثغر.[٤](الطويل)

تذكرتُ أيام الشبيبةِ من عمري وعيشًا خلا من ناظري وهو في صدرِي
فيا دهر ألا كان ليلي كُله كليلةِ شرقيّ الخليجِ من الثغرِ

---

١ ديوانه، ص ٢٢٢.
٢ السابق ، ص ٣١٨.
٣ نفسه، ص ٢٦٢.
٤ نفسه، ص ١٣٤.

ومما قاله في ذلك أيضًا، يصف الخليج وقد حركت الرياح ماءه وتلاطمت أمواجه :[1](الوافر)

وسيف خليجها كالسّيفِ حدّا وفي أرجِ الرياحِ له اضطرابُ
يُمد مدى تقلب بالمجاري وليس لمديه منها قرابُ
وإيقاعُ الضفادعِ فيه عالٍ وللدولاب زمرٌ واصطحابُ

البرك:

وتجد الباحثة أبياتًا للشاعر يصف فيها بركة الحبش، تلك البركة الغناء خلف النيل الذي تحف الخضرة شطيه، وقد أضاف إليها الشاعر مظاهر جمالية، يقول: [2](الطويل)

تأملتُ بحر النيلِ طولاً وخلفهُ من البركة الغناء شكلٌ مدورُ
فكان وقد لاحت بشطيه خضرةٌ وكانت وفيها الماءٌ باق موفرُ
عمامة شربٍ في حواشٍ بخضرة أضيف إليها طيلسانٌ مقورُ

وتلمس الباحثة للشاعر وصفًا آخر مشابه للوصف السابق وإن كان ظافر قد أضاف لها نعوتا أخرى تضفي على البركة مظاهر جمالية، فيقول: [3](السريع)

انظر إلى مُستترة الأنفسِ والبركة الغناء في المجلسِ
كأنها والنبتُ من حولها في مَغرس ناهيك مَن مَغرس
جامُ سن البلور قد حفّه غشاؤه الأخضر من سندس
حتى غدت كالشمسِ عند الضحى والبدر حسنًا في دُجى الحِندس

الجداول:

وقد تناولها الشاعر في شعره ،وذكر مظاهر الجمال فيها ،كأن يقول إن بياض مياه هذا الجدول يشبه بريق السيوف الناصعة. [4](الطويل)

كأنَّ بياض الماءِ في كل جدولٍ نصولُ سيوفٍ أخلصتها المداوسُ

---

١ ديوانه ص ٣٣.
٢ السابق، ص ١٤٠.
٣ نفسه، ص ٢٩٦.
٤ نفسه ص ١٥٠.

الكثبان والروابي:

ومن المظاهر المكانية الأخرى التي تتردد في شعر ظافر الحداد، الكثبان والروابي والتي تزدهر في فصل الربيع وتفوح بالعطر الذي يبعث في النفس السرور.

وتلمس له الباحثة، وصفًا لكثبان رمل الظاهرية ، والذي يكتسي بالأزهار، ويجمع دواعي الجمال والسحر بحمائمه، يقول: [١](الطويل)

أكثبانَ رملِ الظاهرية هل إلى عَشيّاتك المستحَسناتِ سبيلُ
وهل يتلقاني نسيمك سُحرة وقد صَافح الأزهار وهو عليل؟
الطلُّ يسحب ذيله على قُلل الأهدافِ وهو بليل
ويُطربني في جانبيك حَمائم لها بين أوراق الغصونِ عَويل

وفي مكان آخر يصف الشاعر فرحه ولهوه بين الروابي لا سيما في فصل الربيع الذي تكتسي فيها ظلتها الجميلة، يقول: [٢](الوافر)

وأمرحُ في ميادين التَّصابي وأخلعُ في ملاعبها عذارى
وقد نشرَ الربيعُ على الروابي ملابسَ رقم إيذاء القِطارِ

ب- أماكن الطبيعة الحية (المتحركة):

وتشمل هذه الأماكن الرياض والحدائق والبساتين وما يتعلق بينها وبين الأماكن من زهو وطل ونخيل وثمار.

الرياض:

اهتم ظافر الحداد بالرياض اهتمامًا واضحًا، وله أوصاف كثيرة للرياض بأشكالها وأنماطها المتعددة.

فها هو يقف على الرياض المشعة واصفًا جمالها الذي يأسر النفوس ويفتنها، يقول:[٣](البسيط)

والروضُ ينشر من نوارِه حُللا مما تحوكُ يدُ الأنواء والسُّحبِ
والأقحوانةُ تحكي ثغر غانيةٍ تبسّمت فيه من عُجبٍ ومن عجبِ

---

١ ديوانه، ص ٢٢٠، ٢٢١.
٢ السابق، ص ١٣١.
٣ نفسه، ص ٢٧١.

وتلمس له الباحثة وصفًا آخر للرياض المزهرة، والطلّ ينشرُ عبق هذه الأزهار في كل مكان يبعث الفرح والسرور، إذ يقول: [١](البسيط)

والروضُ يبعث مسكًا من نوافجِه والطلُّ يفتقُهُ والريحُ تجلبُهُ

وقد تبسّم نورٌمن كمائمِه فلاح فضيّة الزاهي ومذهبُه

وله وصفٌ آخر للرياض الخضراء ويشبهها بالعذار، وقلائد النخيل مطوقة بقلائد أثمارها، يقول: [٢](الكامل)

روضٌ كمخضِّر العِذار وجَدول نقشت عليه يدُ النسيم مبارِدا

والنخلُ كالهِيف الحِسانِ تزيَّنت فلبسن من أثمارهنَ قلائدا

البساتين:

وقد افتنّ الشاعر بالبساتين الخضراء، وبأغصانها الخضراء الكثيفة ،والتي تبدو بأجملِ منظر، يقول: [٣](الطويل)

كأن الغصونَ المائساتِ رواقصٌ تثنَّت على إيقاعِ دُفّ ومِزهَر

تضايقتِ الأشجارُ في الجوّ فوقها سوى فُرجٍ تُهدي الضَّياء لمبصرِ

فيبسُط منها البدُر كل مُدرهمٍ وتنشُر منها الشمسُ كل مُدنَّرِ

فالشاعر يصف الغصون المائسات بأنها ترقص على أنغام الإيقاع، ويرسم صورة للأشجار التي تعكس ضوء الشمس صباحًا.

<u>جماليات الأماكن الصناعية والحضارية:</u>

وهي كل ما تدخل الإنسان في صنعه وتشكيله من دور وقصور ومدن، وكل ما يتصل بتلك الأماكن من مظاهر حضارية مختلفة.

وقد تعددت الأماكن الصناعية والحضارية في شعر ظافر الحداد، وكان لها حضور واسع في شعره، وحملت دلالات مختلفة.

وقد ارتأت الباحثة تقسيمها إلى قسمين:

الأول: الأماكن العامة ، كمجالس الأنس ، التي تجلب الفرح والسرور.

---

١ نفسه،ص ٦٥.

٢ نفسه، ص ٨٧.

٣ديوانه ، ص ١٣٠.

الأول: الأماكن الخاصة كالدور والقصور، وما يتعلق بهما كالخزانات والحمامات وغيرها.

الثالث: الأماكن الصناعية غير المكانية، التى تجمع بين العام والخاص ،كالنواعير (الدواليب)، ومواقد النيران (الكانون، الفحم).

الأماكن الصناعية والحضارية العامة:

ومن الأماكن الصناعية والحضارية العامة التي انتشرت في الدولة الفاطمية، مجالس الأنس، وهي مدعاة لجلب الناس إليها من كل صوب، ويوجد فيها الطعام والشراب، كما يسودها الفرح وتعمها البهجة.

واهتم ظافر الحداد بهذه المجالس، يقول يصف مجلس السلطان الأفضل الذي بناه في بستان بظاهرِ القاهرة، وقد أبدع في وصفه: [1](البسيط)

انظرْ إلى المجلس الأعلى وما جمَعت ... فيه سعادةُ مولانا من المُلَح
جاءت به حكم الصناع معجزة ... نيا فأصبح فيها خير مقترح
له بياض يغض الطرف لامعة ... فالعين تلحظ منه الحسن في الملح
كأنه خلل الأشجار لؤلؤة ... نظم الزمرد فيها غير منفسح
كأنما الدهر فيه سيف مرتعش ... يرومه بين مقبوض ومطرح
يلقى إلى البركة الغناء فائضة ... ماء يشف شغيف الخمر في القدح

فالشاعر قد جمع كل مظاهر الجمال في هذا المجلس، الذي جمع كل أسباب السعادة والمسرة ،ففيه الأشجار التي تشبه اللآلئ اللامعة، وأمام المجلس بركة ماء واسعة يمدها نهر يشق المجلس ، وهى محفوفة بأنواع الأزهار.

ب- **الأماكن الصناعية والحضارية الخاصة:**

تمثل الأماكن الخاصة نقطة الارتكاز والجذب لكل الأمكنة الثانوية ، والأساس الذي تنطلق منه تلك الأماكن الأخرى.

وتعد أماكن السكن أول تلك الأماكن، التي تؤثر في الشاعر فهو المأوى الطبيعي له، وهو جزء من حياته، وامتداد لنفسه، كما أنه من أهم العوامل التي تدمج أفكارًا وذكريات وأحلامًا إنسانية، ويعمل على دفنها بين حناياه، ولأن البيت الذي ولدنا فيه

١ السابق، ص ٧٩.

محفور بشكل مادي في داخلنا، فهو يعتمد على ذلك الدمج ليمنح الماضي والحاضر والمستقبل أبعادًا ودلالات مختلفة. [١]

وقد حملت أماكن السكن ألفاظًا متعددة تدل عليها، فيها الدار، والمنزل والمسكن، والمحل وغيرها.

وقد رسم ظافر الحداد نوعين من الدور، يتمثل النوع الأول في الدور والقصور التي شيدها الخلفاء الفاطميون والوزراء، وقد وصفها الشاعر بكل ما فيها من فنون حضارية، وأبدع في إظهار جمالها وزخرفتها .

وترصد له الباحثة قوله يصف دارًا أنشأها الأفضل ،وما حوته من مظاهر جمال وعظمة: [٢](الكامل)

يا دارُ حَلّت فيك كل سعادةٍ طولَ الزمانِ على نظامٍ واحدِ
وَحَويتِ كل مَسرة وكُفيتِ كلّ مَضرَّة وعَلَوتِ كلَّ مُعانِد
وغَدت ببابك للنجاح بَشائر من صادرٍ يَلقي عزيمةَ وارد
وتنَافست في مدحِ ساكنِك الورَى من بينِ مُثْنٍ لا يَملُّ وحامد

ويصفها في موضوع آخر بقوله: [٣](المنسرح)

يا دارُ دارتْ بك السُّعودُ كأنها منك تستفيدُ
فيكِ من الحُسنِ كل معنى يُقصرُّ عن مثله الوُجود

ويرى حسين نصار أن الشاعر وإن كان قد نجح في تصوير محتويات هذه القصور، إلا أنه قد أخفق في تصوير القصور نفسها، تلك القصور التي كانت زينة الفسطاط والقاهرة، ووحي المؤرخين وإلهام القصاص وخاصة ألف ليلة وليلة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الشاعر لم يرتبط ارتباطًا شعوريًا بهذه الدور، وإنما كان كل همه أن يمدح أصحابها ويدعو لهم. [٤]

وقد حوت قصور الخلفاء قاعات وخزانات منها قاعة الذهب وخزانة البنود.[٥]

---

١ غاستون باشلار: جماليات المكان (مرجع سابق)، ص ٤٣ – ٤٥.

٢ ديوانه، ص١١٥.

٣ السابق.

٤ انظر ظافر الحداد شاعر مصري من العصر الفاطمي، ص ١٣٠.

٥ انظر أحمد سيد محمد: الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي، ص ١٣٥.

وها هو ظافر الحداد، يصف خزانة مالية من خزائن تلك القصور، يصفها مرة بأنها كالروضة الزاهرة، التي نبتت من اللجين والذهب، ومرة كالوجه الحسن، يقول: [1](مشطور الرّجز)

وروضـــةٍ زاهرةٍ من اللُّجينِ والـذهبْ
لـكنُّها مـا نبتـتْ في الأصل إلا باللَّهبْ
انظر إلى صنعتها فكلُ ما فيها عـَجبْ
كأنما عـــُطاردٌ أحكَم فيها ما ضَـربْ
أودَعها نـقّاشُها لكلُّ عيـن ما تحـــبْ

وثمة أمكنة صناعية وحضارية تربط بين العام والخاص، وتتمثل في أماكن حرفة الشاعر، ومهنته، وقد وردت تلك الأمكنة بكثرة في شعر ظافر الحداد، وحظيت باهتمامه، فوصف الموقد (الكانون) وصفًا بارعًا يقول:[2](مجزوء الكامل)

انظرْ إلى ما ضُمِّن الـــ ـكـانونُ من فـــحمٍ وجـمرْ
هـــذا يزيـد وذا يبيـــ ـد كـمـــا انطوَى ليلٌ بفـجرْ
فكأنـــــها رُسُل الوصـا ل تَـــواترتْ بـــــزوال هجرْ
أو كالعُقود تضـــمنَّت نـــــوعيـن من سَبح وشَـذرْ
أو جمرةِ الوجنـــــات لا ح شقيقُـــــــها في آس شَعْر

وتظهر أصداء المهنة في وصف الشاعر للموقد في لوحة فنية جمعت الفحم والجمر، مما جعل الصورة تأخذ بعدًا جماليًا كبيرًا.

وله في نفس المعنى، يقول: [3](الطويل)

تأملْ ففي الكانونِ أعجبُ منظرٍ إذا سَرَحتْ في فحمه جمرةُ النار
كما ميَّل الدنَّ المروَّقَ ســـاكبٌ فدبَّ احمرار الخمرِ في حَلك القار

النواعير:

ومن الأماكن الصناعية والحضارية التي تميزت بها البيئة المصرية، وبرزت كظاهرة جمالية في شعر ظافر الحداد، ويسمى أيضًا بالدولاب.

---

١ ديوانه، ص ٢١.
٢ السابق ص ١٢٣.
٣ نفسه ص ١٢٤.

والنواعير مفردها ناعور، وهي أداة تستخدم في الزراعة، وتصدر صوتًا شجيًا متواصلاً.

وتقرأ الباحثة للشاعر وصفًا للناعور، إذ يرى فيه صوت الزامر يقول: [1](الطويل)

وفي الطيرِ والدولابِ شادٍ وزامر لَدى شجرٍ تُجْلَى بن العرائس

ويقول في موضع آخر، في أثناء وصفه لبستان: [2](الطويل)

وإنْ نَعرت فيها النَّواعيُر رجَّعت بها الطيُر ألحانَ الغناءِ المحرَّر

<u>جماليات الأماكن التاريخية والدينية:</u>

ومن الأماكن العمرانية والحضارية الأماكن التاريخية والدينية.

والمكان التاريخي هو المكان الذي تفوح منه رائحة القرون والأجيال السالفة مشيرًا بخصوصيته إلى الجذور التاريخية العرقية التي تنتمي إليها. [3]

ولقد شكلت الأماكن التاريخية ملمحًا من ملامح المكان عند الشاعر ظافر الحداد، له دلالاته وخصائصه ولا سيما أن موطنه الإسكندرية، تلك المدينة التي كانت موقعًا من مواقع الإبهار العمراني آنذاك.

ولم يقف ظافر الحداد على بحر الإسكندرية، إلا ولفت نظره منارتها، وهي إحدى عجائب الدنيا السبع حينئذ، ومن ذلك قوله يصف المنارة التي يسطع ضوءها، فيشبه ضوء القمر: [4](البسيط)

وليلةٍ من حسانِ الدهرِ بتُّ بها بساحلِ الثَّغرِ في أعلى مَناظرِهِ

وفي المنارةِ من تلْقائنا قبس والبدر يظهر ثلُثاه لناظرِه

كشاربٍ قام إجلالًا، وفي يده كأسانِ للشرب مسرورًا بزائره

وفي الإسكندرية بنايات عمرانية أخرى، لها نفس التمجيد والتجليد، ومنها عمود السّواري، وهو من أهم مزارات الإسكندرية.

---

١ نفسه، ص ١٥١.

٢ نفسه،ص ١٣٠.

٣ انظر خالدة سعيد: حركية الإبداع – دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ٣٠.

٤ ديوانه، ص ١٣٩.

فها هو الشاعر يدعو إلى زيارة عمود السواري، ليستمتع الناس بزيارته في أعيادهم ونزهاتهم، يقول:[1](الوافر)

سقى الله السَّواريَ بالسَّـــــواري ودرَّت في مذاهبِها الذّهـــاب
فكم عيدٍ بها أهْدَى وأدْنـــــــى حبيـــــبًا كان أبعدَه أجْتناب

وإذا انتقلت الباحثة إلى القاهرة، ، فستجد أن الشاعر اهتم بوصف آثار مصر ومنها الأهرامات التي ظهرت بكثرة في شعره ، يقول: [2](الوافر)

تأملْ هيئةَ الهرمَيْن وانظْر وبنيهما أبو الهول العـــجيبُ
كعُمّـــاريتَين على رحيلٍ بمحبوبين بينهما ورقيـــــب
وماءُ النيلِ تحتهما دموعٌ وصوتُ الريحِ عندهما نَحـيب

المكان الديني:

وشكلت الأمكنة الدينية أيضًا نمطًا من أنماط المكان عند الشاعر ظافر الحداد، ووظفها في شعره، وساعده على ذلك ثقافته الواسعة وقدرته الإبداعية .

ومن خلال استقراء الباحثة النصوص الشعرية عند الشاعر رأت أن تتلمس أثر المكان الديني ودلالاته من خلال ما يلي:

المساجد:

وهي من المظاهر العمرانية التي انتشرت بمصر والإسكندرية بكثرة أيام الفاطميين.

وتلمس الباحثة للشاعر يصف المساجد المضيئة ليلًا وقد امتزجت بضوء المنارة في الإسكندرية، يقول: [3](الوافر)

تضيء بها المساجدُ فهي تزهو بياضًا مثل ما تزهو الكَعاب
تُجاورها مـــنارتُها، وفيها وفي فانوسِها عَجَبٌ عُجاب
فتاةٌ غادةٌ بإزاءِ شيـــــخ قصـــــير طال بينهما العتاب

---

١ السابق، ص ٣٣.

٢ نفسه، ص ١٦.

٣ ديوانه، ص٣٣.

أماكن الحجاز:

وتسمو روح الشاعر إلى الحنين إلى الأماكن الحجازية المقدسة التي تحمل – بلا شك – دلالة دينية وتشكل العناصر الجمالية بعض مظاهرها.

ويذكر الشاعر مظاهر الجمال في حضرة هذه الأماكن المقدسة، فها هو يذكر هذه الأماكن متغلغلة في معرض قصيدة مديح، يقول في مدح الإمام الأمير أمير المؤمنين: [1](الكامل)

أنت الذي بَعث الإلهُ لنا به آباءَه فتمثَّلوا بُمثوله
حتى لقد ودَّ الحجازُ تشوقًا لو زاره برسُومه وطُلوله

ومنها يقول أيضًا: [2]

وليُمسك البيتُ الحرامُ وحِجْرُه ومقامُه وحَطيمُه بذيوله
ويُبادرَ الحَجَرُ العظيمُ ومالَه غيرُ استلامِ يَديه أو تقبيله
وتقول مكة عند ذاك وطيبة هذا ابن حيدرة الرضا وبتوله

الكنائس:

ووظف الشاعر في شعره الأماكن الدينية الأخرى كالكنائس، يقول يستجلي فيض ذكرياته بثغر الإسكندرية، ذاكرًا الكنيسة: [3](الوافر)

وكم لي بالكنيسةِ من كناسٍ به رَشأٌ جَلَتْه لنا القِباب
وكم لي بالمجَالس من جلوسٍ تحفُّ به الأحبةُ والصِّحاب

وله في المعنى أيضًا: [4](المتقارب)

ولي بالكنيسةِ لا بالكناسِ رشًا هابَه الضَّيغمُ الأغْلَب
يُحكِّم في الأُسدِ ألحاظَه وتلقاه من راهبٍ يَرْهَب
أفاض القَباطي على مثلِها ولاقَى به المُذهَبَ المُذْهَب

---

١ السابق، ص ٢٢٥.
٢ نفسه، ص ٢٢٦.
٣ نفسه، ص ٤.
٤ نفسه، ص ٥٧.

فالشاعر يستدعي مواطن ذكرياته بمدينته الإسكندرية ويركن إلى تفاصيله من خلال ذكر الكنيسة وهي من الأماكن المقدسة، أما الكناس فيقصد بها الشاعر، مجالس الأسمار مع أصحابه .

موقف الشاعر من المكان:

أصبح للمكان – في كثير من الأحيان – دلالات تعكس أحوال الشاعر المختلفة، وترتبط هذه الدلالات – لدى الشاعر – بمواقف نفسية واجتماعية وسياسية، وتتمثل هذه المواقف على موقفين هما:

أولاً: الألفة والمعاداة.

ثانياً: الغربة المكانية والحنين.

وعند استقراء الباحثة لديوان ظافر الحداد، لاحظت أن ثمة أماكن أليفة مرغوبة في شعره، وأماكن عدائية مرفوضة وفقاً لذلك، فقد قسمت الباحثة الأماكن إلى:

أماكن أليفة، وأماكن معادية.

المكان الأليف هو: المكان المحبب إلى النفس والذي يبعث على الألفة، ، وقد يكون منزلاً، أو مدينة أو رياضًا أو بساتين.

تعد المدينة نموذجًا للمكان الأليف ، وقد برزت المدينة في شعر ظافر الحداد بشكل كبير، فهو ابن مدينة الإسكندرية التي عاش فيها، وهي من الأماكن التي ألفها في شعره، ومما قاله في حب الإسكندرية قوله:[1](الكامل)

يا هل إلى الإسكندريةِ أوبةٌ فيُسر قبل مَماته بإيابه
فيرى مكان شبابِه ونِصابه وحُبابه وصِحابه وعُبابه
حيث النسيمُ الساحليُّ يزوره وندى رياضِ الرمل عطر ثيابِه
رشفت ثنايا الثغر أفواه الصَّبا أُصلاً وبرَّدها الندى برضابه

وفي غير مدينة الإسكندرية تقرأ له الباحثة أبياتًا في وصف موطنه الجديد الفسطاط، يقول في حبه ووصفه للفسطاط: [2](الكامل)

بمنازلِ الفسطاط حلَّ فؤادي فاربَعْ على عَرصاتِهن ونادِ
يا مصرُ، هل عرضتْ لغصنٍ فوقه قمَرٌ لربعك أوبة لمعَاد

---

١ ديوانه، ص ٣٠.

٢ السابق ، ص ٨٥.

فهو يناجي الفسطاط التي حل بها فؤاده ونزل على عرصاتها، ومنها يقول أيضًا:[١]

واها على تلك الرسومِ فإنها أثارُ أحبابي وأهلِ ودادي
فلقد أحنُّ لها ولسنَ منازلي وأودها شغفًا ولسن بلادي

المكان المعادي:

وقد جاء المكان المعادي في صور متنوعة في شعر ظافر، تدل على حالة الرفض والكره والعداء تجاه ذلك المكان.

فالقبر من الأماكن التي تهيج بداخل كل إنسان مشاعر فقد الأحبة؛ لأنه مكان يدل على زوال الدنيا فهو مثواه الأخير، يقول الشاعر يصف الثغر وأنه يتمنى أن يموت فيه ويُدفن في أحداثه: [٢](الطويل)

محلٌ به موتى حياةٍ شَهية تلذُّ وعيي في سِواه حِمام
ففي الجانبِ الغربيِّ منه مدافنٌ وفيهنّ أجداث علىّ كِرام

ويقول في ذم حجرة تشبه القبر: [٣](السريع)

وحجرةٍ من عدد القبورِ بتُّ فيها للقَدر الضَّروري
في ليلةٍ مسرفةِ الحُرور كأرؤُسِ الخِرفان في التنور
مُطبق مطيَّن مَسجور بعوضُها يكسر كالنسور
فذقت طعم الموت والنشور

ومثلما وصف الشاعر جماليات الحمامات، يعود ويذم حمامًا يكرهه، فهو بالنسبة له يمثل مكانًا معاديًا، ومرفوض لدى الشاعر، يقول يكشف عن مساوئ هذا الحمام: [٤](الوافر)

وحمامٍ حللتُ فيه لكَيما أفوزَ براحةٍ فيه ونَفْع
وكنتُ عقيب هجرٍ من حبيبٍ أكلّ تصبري وأصَّم سمعي
فقلت: لعلَّني أخلو فأبكي بكاءً جهدَ مقدرتي ووُسْعي

---

١ ديوانه ، ص ٨٥.
٢ السابق، ص ٢٤٠.
٣ نفسه، ص ١٢٤.
٤ نفسه، ص ١٧٩.

فلما أن حصـــــــــلتُ به بَدا لي مع المقدورِ جمع أي جمــع
فقلت مفكرًا في ضعـــف قَسمي مــن الحالين في أصل وفرع
وقد عـــُدم الوقود ولــيس مـــاءٌ فردّهما له نفسي ودمعـــِي

ثانياً: الغربة المكانية والحنين:

وهذا العداء وهذه العزلة تولد لدى الشاعر إحساسًا بالغربة المكانيــة والحنــين إليها.

إن مصطلح الغربة بمعناه اللغوي هو النزوح من الوطن والتغرب عــن المكــان الذي يقيم فيه الإنسان.[١]

وللغربة المكانية عند ظافر الحداد أسباب منها: العوامل الاقتصادية التي أثــرت في حياة الشاعر، لا سيما أنه صاحب موهبة وإبداع.

وبدا للباحثة بشكل جليّ، أن الشاعر قد حملت أشعاره معاني الغربة في كثيــر من الأحيان، يقول:[٢](الطويل)

على الجانبِ الإسكندريِّ ســـــلامُ يُكرره مني عليـــــــه دوامُ
سلامٌ يناجي ذلك الثغر مُضـــــحكا رباهُ بنورٍ قد بكاهُ غمـــــــام
ذكرتُ زمـــــاني فيه والعيشُ أخضر وإذ أنا طـــــفلٌ والزمان غلام

وتلمس له الباحثة شعرًا آخر تتجسد فيه معاني الغربة والحنين لموطنه، فهو يتمنــى أن يعود لموطنه ليجد فيه راحته ،يقول: [٣](الرّمل)

لــيتَ شعري والأمــاني راحةٌ للمحـــــبِّ النازحِ المغـــــترب
هـــل تغنينا حماماتُ الحِمــى فــي ظـــــلال الأيك بــين الكــتُب
بغناء أعجمـــيّ لفظـــــــه يُفـــهم السّمـــع وإن لـــم يُــعرب

المكان والدراسة الفنية :

يتشكل المكان في الشعر فنيًّا من خلال اللغة ، وبالنظر في لغة الشعر المكــاني عند ظافر الحداد، تلاحظ الباحثة أنها تتباين تبعًا لنوع المكان الذي تــذكر فيــه، وأنهــا تميل إلى اتجاهين:

١ انظر، ابن منظور: لسان العرب (غرب) ١٣٧/١، ١٣٩
٢ ديوانه، ص ٢٣٩.
٣ السابق ،ص ٤٤-٤٥.

- اللغة ذات الألفاظ الجزلة، المشحونة بالمعاناة الإنسانية الجادة، وتتمثل في اللغة التي تعبر عن الأماكن كالأطلال والصحراء والمكان الحربي. [١]
- وثانيهما: اللغة التي تميل إلى السهولة والرقة والعذوبة، وتتمثل في الأماكن المحببة إلى نفس الشاعر، وله فيها ذكريات جميلة.

وتتردد اللغة الجزلة في بعض مقدمات قصائد ومطالع المديح للشاعر ظافر الحداد، والتي يتبع فيها سُنة الأقدمين، من حيث الوقوف على الأطلال وذلك في مثل قوله:[٢] (الخفيف)

سائل الدارَ إنْ سألتَ خبيرا واستجرْ بالدموع تَدعُ مجيرا
وتعوّذ بالذّكر من سُنة الغد ر،ولا غروَ أن تكون ذَكورا

ويوظف الشاعر مفردات قوية جزلة، في قوله يصف الروض: [٣](البسيط)

والروضُ يبعث مِسْكًا من نوافجِه والطل يفتقه والريحُ تجلبه
وقد تبسَّم نورٌ من كمائمـــــــــه فلاحَ فضيّة الّزاهي ومذهبه

وتتمثل الألفاظ الجزلة في قوله: (نوافج المسك) " وفي الأفعال (يفتقه، تجلبه) التي تحمل معنى القوة.

وله أيضا في وصف رياض، وكان مع جماعة يتنزهون: [٤](الخفيف)

في رياضٍ كأنما نشر الـــرو مُ عليهـــا مُصبَّغات عروس
صدرت عن لظًى وقابلتِ الجلـ ـد فأبدتْ تبسمـــًا في عبوس
جلّ مقدارُها فأصلحُ ما كـــا نتَ هـدايا كِسرى إلى بلقيس

وقد جاءت الألفاظ الجزلة الدالة على القوة في قوله (لظى، عبوس) ويذكر "بلقيس" ملكة سبأ ، وكسرى ملك الروم، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم.

وتلمس الباحثة أثرًا تراثيًا عميقًا في شعر ظافر، يقول متشوّقا إلى الثغر: [٥](الطويل)

كأن الرُّبا في الزهر والماءُ حولَها قلانسُ وشيٍ حولهن طيـــالِس
كأن بياضَ الماء في كل جـــدولٍ نصولُ سيوفٍ أخلصتها المداوس

---

١ خالد حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، ص ٧٣.
٢ ديوانه، ص ٣١٧.
٣ السابق ص ٦٥.
٤ نفسه، ص ١٥٥.
٥ نفسه ص ١٤٧.

وتأتي جزالة الألفاظ وقوة المعاني لدى الشاعر، (قلانس، طيالس، المداوس) والقلانس هي القلاع، والطيالس كساء أخضر بها السيف حتى يجلوه، وكلها ألفاظ توحي بالمعاني المتضمنة قسوة الطبيعة .

وأما الاتجاه الثاني: اتجاه السهولة والرقة والعذوبة، وهي اللغة التي لا تحتاج إلى معاجم لغوية، وتمثل تلك اللغة الجانب الأكبر في شعر ظافر الحداد.

وتقرأ الباحثة أبياتًا لظافر الحداد في وصف بركة غناء جميلة بألفاظ رقيقة تعبّر عن معانٍ لطيفة، يقول:[١](الطويل)

وفي البركةِ الغناء للطرفِ مسرحٌ نهى ما انطوى من جفنِه عن مآبه

يُبلغنا عن زهرِها وافد الصَّبا سَلامًا تولى المسكُ رد جوابِه

إذا جمَّش الغدرانَ واهي نسيمِها حكتْ زردا فُضت أعالي عُبابه

فقد وظف الشاعر في وصفه للبركة _وهي مكان جميل _ألفاظًا رقيقةً معبرةً منها (البركة الغناء) و (زهر) و (الصبا) ،وهذه الألفاظ الرقيقة المتعددة أدت إلى رقة في أسلوبه ومعانيه.

الأساليب:

وقد التحمت لغة الشعر المكاني عند ظافر الحداد بالأساليب، وتنوعت الأساليب ما بين الخبر والإنشاء، ومن أنماط الأساليب الخبرية، استخدام الشاعر "كم الخبرية" التي تدل على الكثرة، يقول: [٢](الوافر)

وكمْ لي بالمجالسِ من جلوسٍ تحفُّ به الأحبةُ والصِّحاب

ومنها أيَضا يقول: [٣]

وكم يومٍ لنا بالرملِ فيه حديثٌ مثل ما نُثر السّحاب

أما الأساليب الإنشائية، فقد وظَّف الشاعر الأساليب الاستفهامية المتعددة؛ لتكشف عن الجوانب النفسية عنده، وتلاحظ الباحثة أن الشاعر قد حرف أسلوب الاستفهام عن معناه الأصلي الذي يأتي لمعاني الاستخبار ويوظفه بمعنى جديد، يقصد

١ نفسه، ص٥١.

٢ ديوانه، ص٥١.

٣ السابق، ص ٣٥.

من خلاله إظهار سحر المكان وبديع جماله، يقول يستدعي ذكرياته مع موطنه الإسكندرية:[١](البسيط)

هل لي إلى الثّغر من عودٍ ومنقلبِ؟ فالعيشُ منذ رحيلي عنه لم يطبِ
ترُى أزور القصور البيضَ ثانية بالرملِ بين غصونِ التين والعنبِ
وفوقَنا شاهقاتُ الكرم أخبيةٌ من حولها قُضب الأغصان كالطُّنبِ

فالشاعر يستفتح أبياته بأسلوب الاستفهام؛ ليكشف عن البعد النفسي الذي يشعر به عندما يتذكر أيامه بالإسكندرية ويبث مدى شوقه إليها، والأمل في العودة إليها.

وله في المعنى أيضًا: [٢](الطويل)

أأيامنا بالثغرِ هل لك عودةٌ إلى حافظٍ للعهدِ لم يتغيَّر
وهل أتملى من نسيمك سُحرة يصافح مطلول النباتِ المنوَّر
وأرفُل في ثوبي صبًا وصبابة وأسحبُ ذيلي مشية المتبخترِ

ويوظف الشاعر أسلوب الاستفهام في الأبيات؛ ليعبر عن شوقه إلى ساحل الثغر في الإسكندرية، وحنينه لجوها ونسميها

وتلمس الباحثة استخدام الشاعر لأساليب أخرى كان لحضورها أثر في إثراء شعره المكاني، ومن تلك الأساليب أساليب الأمر والنهي، فها هو الشاعر يقول موظفًا الأمر، في موضع من شعره يتذكر فيه أيامه وذكرياته في الفسطاط: [٣](الكامل)

بمنازل الفسطاطِ حل فؤادي فارْبع على عرصاتِهن ونادِ

ومن الأساليب الإنشائية التي وظفها الشاعر أيضًا في شعره المكاني أساليب النداء، والتي تضفي على وصفه للمكان معاني الحسن والجمال، يقول في وصف دار أنشأها الأفضل مخاطبًا إياها: [٤](الكامل)

يا دارُ حلت فيك كلُّ سعادةٍ طولَ الزمان على نظامٍ واحدِ
وحويتِ كل مسرة وكُفيت كـ ـل مضرة وعلوت كل مُعاند
وغدت ببابك للنجاح بشائر من صادرٍ يَلقى عزيمةَ وارد

---

١ نفسه، ص ٢٧،
٢ نفسه، ص ١٠.
٣ نفسه، ص ٨٠.
٤ ديوانه، ص ١١٥.

وتقرأ له الباحثة توظيفاً آخر لأسلوبي النداء مع الاستفهام، حينما ينادي مدينة الإسكندرية، ويحن إليها، يقول: [1](البسيط)

يا ساحلَ الثغر: كم أنأى واغتربُ أمـا إليكَ مدى الأيام مُنقلبُ
ويا أوائلَ أيام الشباب به هل لي إليكن فيه ساعةً سببُ
واللهِ ما اخترت مصرا عنك عن مقةٍ وإن غدا العيشُ لي فيها كما يجبُ

والشاعر يستخدم في البيت الأخير أسلوب القسم وهو من باب التأكيد، ليؤكد أنه لم يختر مصر بإرادته، وإنما ظروف العيش اضطرته إلى الرحيل إليها.

ومن الأساليب التي نجح الشاعر في توظيفها في نطاق شعره المكاني، أسلوب التمني ،فها هو الشاعر يقول موظفًا أسلوب التمني الذي كثيرًا ما وظفه في مخاطبة موطنه مدينة "الإسكندرية"، متمنيًا العودة إليها مرة أخرى: [2]

يا ليتني أحظَى بشمّ نسيمه وبديعِ منظرِه ولثم ترابه

ويستخدم الشاعر أسلوب القصر أيضًا؛ وذلك لخدمة مديحه للأفضل، وهو يقصر كرم النيل عليه، يقول: [3](الطويل)

وما النيلُ إلا مشبه بعض نَيله إذا غمَر الدنيا بفيض انصبابِه

إن تعدد الأماكن الجميلة، وتنوع مظاهر الجمال فيها، ساعد الشاعر ظافر الحداد على توظيف هذه الأساليب البلاغية، التي بلا شك أضفت على شعره حسن الأسلوب وجمال التصوير.

جماليات المكان في الصورة الشعرية:

ويتشكل المكان في الشعر فنيًا عن طريق الصورة الشعرية، وللصورة أهميتها في مسميات النص جميعا كاللغة والأساليب والتراكيب والمكان.

وتشكل الصورة البيانية مسحة جمالية كبيرة في إبراز القيم الجمالية للمكان في شعر ظافر الحداد المكاني،ومن هذه الصور:

---

١ السابق،ص٣٧

٢ نفسه،ص ٣٠.

٣ ديوانه، ص ٥٢.

أ- التشبيه:

وهو أقدم الصور البيانية ووسائل الخيال، وقد احتفى به النقاد العرب وأولوه عنايتهم، فقد عني به ابن رشيق، وعقد له بابًا كامًلا، وعرفه بأنه: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه.....". [١]

واستعمال التشبيه في الشعر ضرورة؛ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد عن القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا، ويكسبها جمالًا وفضًلا، ويكسوها شرفًا ونبلًا. [٢]

وقد ساعد هذا الأسلوب البياني الشاعر ظافر الحداد على تصوير مظاهر الجمال لأماكن عديدة، وأكثر من استخدامه موظفاً أدوات التشبيه بأنواعها في شعره.

ومن الصور الجميلة،ــ ما جاء في شعره يصف جمال الخليج وسحره، حينما تحرك الرياح ماءه، فتتدافع أمواجه ، يقول موظفاً أداة التشبيه: [٣](الوافر).

وسيفُ خليجها كالسيفِ حدًّا وفي أرجِ الرياحِ له اضطراب
يمُد مُدى تقلب بالمجاري وليس لمُديةٍ منها قراب
وإيقاع الضفادعِ فيه عالٍ وللدولاب زمّرٌ واصطِخاب

وله يصف روضة بأنها كالغادة الجميلة التي تلبس ثيابًا جديدًا ن، يقول مستخدمًا أداة التشبيه (كأن):[٤](الرمل)

وكأن الروضَ فيه غادة تتهادى في الثيابِ القشبِ

وله أيضًا يصف مظاهر الجمال في روض أخضر، ينساب فيه الماء في جدول رقراق، ، يقول: [٥](الطويل)

كأن بياضَ الماءِ في كل جدولٍ إذا لاح في غصنٍ من الروضِ أخضر
غِلالةَ شرب ضمَّها فوق لابس رشيقُ قباء أخضرٍ لم يزرّر

---

١ العمدة في صناعة الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، طـ٥، ١٩٨١م.

٢ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، القاهرة، مطبعة الاعتماد، طـ١، ١٩٤٠، ص ٢٤٧.

٣ ديوانه، ص٣٣.

٤ السابق ص٤٥.

٥ نفسه، ص ١٣٠.

وله صورة جميلة أخرى لوصف الموقد يستخدم فيها التشبيه، ، فيشبه اللهب من خلال الفحم بأنه كلمح البرق في السحاب، وكالغمة السوداء التي تلف حول قلنسوة حمراء من الذهب، يقول: [1](البسيط).

انظُر إلى الفحمِ في الكانون حين بَدا سواده فوق محمرّ من اللهبِ
تخالُ ما لاح من حسنِ اجتماعهما لمحًا من البرق في جو نٍ من السّحبِ
أو عمةً من حداد لم تعمّ ولم تستر قلنسوةً حمرا من الذَّهبِ

ب- الاستعارة:

والاستعارة مثلها مثل التشبيه، إلا أنها "أمعن في الخيال من التشبيه؛ لأنها تطمس الأشياء طمسًا وتستبدل بها أشباهها. [2]

والاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، "وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به". [3]

وتساعد الاستعارة على إضفاء صور تشخيصية للمكان تتسم بالحركة والحيوية، ومن ذلك تقرأ الباحثة من شعر ظافر الحداد في مديحه للوزير الأفضل مقرنًا معاني المديح بأوصاف النيل وكرمه، يقول: [4](الرمل)

أين ماء النيل من كفك قذ أخجل البحرَ وودقَ السُّحب
ولهذا كان في العام له وقفة من خجل أو رَهب
ثم حاكَى من أياديك ندى فاتحَى الأرض يجري مُغرب
فهو لولا خيفة تزجُره منك أودى فيضُه بالسُّحب

فالشاعر يعتمد على التشخيص حينما يجعل النيل يقف في حضرة الممدوح خجلًا ورهبة.

المكان والإيقاع: وللمكان أثر في التنغيم والإيقاع، وقد أدرك النقاد العرب أهمية الإيقاع بالنسبة للشعر، وانحصر تصورهم في ركنين أساسيين هما: الوزن والقافية، يقول ابن

---

١ نفسه، ص ١٧.

٢ تشاملتن: فنون الأدب، تعريب زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠،ص ٨٢.

٣ السكاكي: مفتاح العلوم (مرجع سابق)، ص ١٧٤.

٤ ديوانه، ص٤٧

رشيق"الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها".[١]

وتلاحظ الباحثة أن الشاعر قد صاغ قصائده ومقطوعاته الشعرية في المكان على معظم أوزان الشعر المعروفة، ولكن بنسب معينة فقد استخدم الأوزان الطويلة بنسب ليست بقليلة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن وصف جماليات المكان بدلالاته المختلفة تتطلب شيئًا من الإطالة والتفصيل.

تلمس له الباحثة وصفًا مكانيًا على وزن بحر الطويل، الذي يتفق مع أفكاره ومعانيه، يقول متشوقًا إلى موطنه، متمنيًا العودة إليه، مرة أخرى:[٢](الطويل)

أأحبابنا بالثغر إني وإن نأت بي الدار عنكم ما استحلت عن العهد
وقد لامني العذل فيكم وأكثروا فما غيروني بالملام عن الود
إذا كشفوا عن صدق كل مودة فإن وداد الناس بعض الذي عندي
فكم في فؤادي منزل غير نازح ولو أنني خلف العراق أو الهند

كما جاءت أبيات شعرية له أيضًا على وزن بحر الوافر، يقول متأسفا على فراق وطنه:[٣](الوافر)

فوا أسفاهُ يا وطني وإن أودَى بي الأسفُ
عدمتك حين مالي مذ ـك معتاض ولا خَلف
فعيشِي مذ سبابي البيـ ـنُ منك جميعه كُلف

وتلاحظ الباحثة أن الشاعر استخدم الأوزان القصيرة والمجزوءة والمشطورة أيضًا حتى تستوفي الغرض الذي من أجله نظم فيه قصائده ومقطوعاته.

وقد رصدت له الباحثة قولًا يذم أهل الإسكندرية، على الرغم من حبه الكبير لبلده، يقول على وزن مجزوء الكامل: [٤](مجزوء الكامل)

لهفِي على الإسكندريـ ـةِ كيف يسكنها اللئامُ؟
بلد عدمتُ بها السرو ر كما بها عُدم الكِرام

---

١ العمدة في صناعة الشعر ١٣٤/١.
٢ ديوانه، ص ٩٥.
٣ السابق، ص ١٨٦.
٤ ديوانه، ص ٢٥٦.

حسُنت وقُبح أهلـــــها فضياؤُها بهمُ ظـــــلام

هذا ولم تقتصر قصائده ومقطوعاته على البحور المذكورة، فقد نظم شعره المكاني على بحور الشعر العربي المتنوعة،وقد اكتفت الباحثة بتخريج الشواهد عروضيًا تجنبًا للاطالة.

ثانياً: القافية: والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية، هذا على رأي أن الشعر "ما جاوز واتفقت أوزانه وقوافيه....". [١]

والقوافي على أنواع، على حسب حركة الحرف أو سكونه، ومنها القوافي المطلقة، والقوافي المقيدة.

وأما المطلق من القوافي، فيكون رويها متحركًا، ومن أمثلة ذلك في شعر ظافر الحداد المكاني، قوله:يصف الفسطاط ويجعل لها مدخلا وجدانيا صادقا [٢](الكامل).

بمنازل الفسطاطِ حـلّ فـــــؤادي فـــاربع على عرصاتِهن ونادِ

يا مصرُ، هل عرضتْ لغصن فوقه قـــــمرٌ لربـــعك أوبة لمعاد

فالشاعر يستخدم روى (الدال) المكسورة، وبعدها ياء في اللفظ، والتي لا يقوم الوزن إلا بها.

ومن أنواع القوافي التي شاعت في شعر الشاعر، القوافي الذلل وهي قافية سهلة المخارج، وحروفها (الباء، الراء، الدال، النون، الميم، الياء، العين).(٥) وترصد الباحثة للشاعر وصفًا مكانيًا جاء فيه الروى بحرف العين، يقول شاعرنا يصف ثغر الإسكندرية وديار به: [(الطويل)

وفي الثغرِ بالإسكندرية للّصـــبا مسالكُ للأغراض فيها مَشارع

ديارٌ يكاد الشيخ مثلي لطيبـــــها يعـــــودُ له فيها شبابٌ مُراجع

القوافي النفر:وحروفها (العين والذال، والطاء والواو والزاي والثاء). وهي قوافي قليلة في شعر ظافر الحداد، ترصد له الباحثة وصفًا مكانيًا، إذ يقول: (الكامل) [٣]

---

١ ابن رشيق: العمدة ١/ ١٥١.

٢ ديوانه، ص ٨٥.

٥-شكري محمد عياد:موسيقى الشعر العربي ،دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ص ٢٤٧.

٦_ديوانه،ص ١٤٧.

والروضُ في حلل النبات كأنما فُرشت عليه ديباجٌ وخزوز
والماء يبدو في الخليجِ كـــأنه إيم لسرعةِ سيره مــحنوز

كما رصدت الباحثة لشاعر أيضا أبياتًا مقيدة القوافي، يقول في وصف موقــد: (مجزوء الكامل) [١]

انظر إلى ما ضمّن الــ ــكانون من فحمٍ وجــمر
هذا يــزيد وذا يبيــ ــد كما انطوى ليل بِفجر
فكأنمَا رســـــل الوصا لِ تواترت بزوال فَـــجر

ب- الإيقاع الداخلي:

ويتمثل في الأصوات التي تتكرر في حشو البيت إلى ما تكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم. [٢]

ويتمثل الإيقاع الداخلي في الفنون البديعية التي تجمع بــين صــنوف الــصفة اللفظية التي تكسب اللذة الصوتية، وصنوف من الصنعة المعنويــة التــي تكــسب لــذة التفكير، ومن هذه الفنون البديعية:

١- الجناس:

هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، "وهو أحد الفنون البديعيــة التي تعني بالمعنى والإيقاع معاً". [٣]

وينقسم الجناس إلى قسمين: الجناس التام، والجناس الناقص.

وتلمس الباحثة آثار الجناس واضحة بجلاء في شعر ظافر الحداد، ومــن ذلــك قوله موظفًا الجناس التام في وصف مدينة الإسكندرية. [٤](الوافر)

ولكن كلُّ مرتجزٍ غزيرٍ يفيض على السّواري بالسَّواري

جاء الجناس في قوله: "السّواري الأولى، وهى الأعمدة التي اشتهرت بها الإســكندرية قديمًا،، وبين " السواري الثانية، والتي تعني السّحب.

---

١ نفسه، ص ١٢٣.

٢ إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، طــ٤، ١٩٦٥، ص٤٥.

٣ منير سلطان: البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠، ص ٢٤.

٤ ديوانه،ص١٣٣.

ب- الجناس غير التام(الناقص):

وهو الذي يختلف فيه اللفظان في عددهما أو نوعهما أو حركاتهما، على ألا يكون الاختلاف بأكثر من حرف في الزيادة أو النقصان. [١]

وجاء الجناس غير التام في شعر ظافر الحداد،في قوله يصف حمامًا : (السريع) [٢]

لله حمام كروضٍ أنيق رافقني فيه رفيق رقيقْ

ويتضح الجناس غير التام في لفظتي "رفيق" و "رقيق"، والاختلاف في الحرف الثاني فيهما، فكان في الأولى فاء وفي الثانية قاف.

ويوظف الشاعر الجناس غير التام لإضفاء الحركة والحيوية في وصفه للطبيعة المصرية، يقول: [٣](الكامل)

نعرت نواعيرُ المياه وأترعت تلك التراعُ وفُضّ فَيض عُبابه

يتضح الجناس بين قوله (نعرت، نواعير) ومن قوله (أترعت، التراع)، وقوله (فض، فيض) وقد جاء الجناس غير التام في الكلمة الأولى فعلاً وفي الثانية اسماً، فالشاعر يرى إمعانا في إبراز الجمال في الطبيعة لإضفاء المزيد من الجمال في لغته الشعرية .

٢- التكرار:

وهو فن من الفنون البديعية، ويعني بالإيقاع من خلال ترديد أصوات الكلمتين، ولذلك يمكن وصف التكرار بالترديد.

ويعرفه ابن رشيق بقوله: "أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه".[٤]

وتتمثل قيمة التكرار في أنه نمط إيقاعي: "يتكرر في عدد من المواضع في العمل ويؤكد فيه عنصر ثم يعقبه سكون أو افتقار نسبي إلى التوكيد. [٥]

---

١ انظر أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط١، ١٩٤٠، ص ٣٩٨.

٢ ديوانه، ص ١٩٧.

٣ السابق،ص ٣١.

٤ العمدة ١/ ٣٣٣.

٥ جيروم ستولينتز: النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط٢، ١٩٨١، ص ١٠٠.

ويعي ظافر الحداد ما يمكن أن يخلقه التقارب الصوتي المكاني على مستوى النص من شكل حماسي مؤثر، يقول: (الوافر) [١]

غدا بالثغر لي ثغرٌ شتيتُ فثغري عنهما ناءٍ شَتيتُ
رشفتُ به ثنايا في ثنايَا كأن المسك بينهما فَتيتُ
أقاحي هذه كأقاحِي هذي ينوحُ حمامُها لي كيف شِيتُ

فقد عمد الشاعر إلى جعل بعض الكلمات المتطابقة صوتيًا ومكانيا، ويتضح هذا في قوله: (غدا بالثغر لي ثغر شتيت فثغري)، (ثنايا في ثنايا) و (أقاحي هذه كأقاحي).

٣- الازدواج وحسن التقسيم:

وهو تنسيق الكلام بعضه على بعض، وانقطاع ذلك لذلك بعض من بعض، ويرى ابن رشيق أنه: "استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به".[٢]

ومن أمثلته ما تقرأه الباحثة للشاعر في قوله يصف الإسكندرية ويحن إليها. (الطويل). [٣]

مكانٌ به زهر البساتين الفلا تخال عليه منه ثوبًا مُفنـنا
بهارًا وأزهارًا وورًدا ونرجسًا وآسا ونسرينا وجُلا وسوسنا

التصريع:

ويعرفه الخطيب القزويني بأنه "ما يجعل العروض مقفاة تقفية الضرب".[٤]

وتلاحظ الباحثة أن الشاعر يستفتح معظم قصائده بهذا البناء الموسيقي، لا سيما في قصائده التي يناجي فيها مدينته "الإسكندرية".

ومن ذلك قوله: [٥](الطويل)

ينازُعني شوقٌ إلى الثغرهاجسٌ أثارته أنفاسُ النسيم النفائسُ

---

١ ديوانه، ص ٧٢.

٢ العمدة ٢٠/٢.

٣ ديوانه، ص ٣٠٢.

٤ الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٤٦.

٥ الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة ٤٧٧/١.

ثانياً: البديع المعنوي: - الطباق :

أما المعنوي فمنه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضًا وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة.(١)

وتلمح الباحثة للشاعر توظيفًا للطباق في شعره المكاني، وذلك لإضفاء عناصر الجمال على أمكنته، ومن ذلك قوله يصف روضة: [١] (المجتث)

وروضةٍ في هجيرٍ وجنةٍ في سعيرِ

فالتضاد بين قوله: (جنة، سعير) وهو يوضح المعنى ويزيده جمالاً، وهو طباق الإيجاب.

١ ديوانه، ص ١٢٢.

الخاتمة ونتائج البحث

قامت هذه الدراسة على بحث جماليات المكان في شعر ظافر الحداد، وقد انتهى البحث إلى نقاط مهمة، على النحو التالي:

- احتلت ظاهرة المكان حيزًا كبيرًا في نسيج نص ظافر الحداد الشعري وأثبت البحث أنه شاعر مكان من الدرجة الأولى.
- تعددت أنماط المكان عند الشاعر، بحسب نصوصه الشعرية.
- جاءت الأماكن الطبيعية أكثر توظيفًا لدى الشاعر،وتنوعت في شعره، من جبال ورياض وبساتين ،وعوالم مياه ،
- أبان البحث عن أهمية الأماكن الصناعية والحضارية، ومدى تجاوب الشاعر مع تلك الأماكن التي عايشها، سواء أثناء وجوده في موطنه أم أثناء غربته في القاهرة.
- نجح الشاعر – في كثير من الأحيان – في إسقاط دلالات شعورية ووجدانية على أمكنته .
- عبّر الشاعر عن موقفه النفسي عن المكان، سواء من ناحية الألفة أو المعاداة، أو الغربة والحنين.
- اعتمد الشاعر في صوره المكانية على الخيال وفنون البديع المختلفة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

١- حسين نصار: ديوان ظافر الحداد "ابن الإسكندرية"، مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٢- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت طـــ٤، ١٩٦٥.

٣- إبراهيم مصطفى الزيات وآخرون: المعجم الوسيط،تحقيق مجمع اللغة العربيـــة، دار الدعوة، القاهرة.

٤- أحمد سيد محمد: الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيـــوبي، دار المعـــارف القاهرة، ١٩٩٢.

٥- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الاعتماد، القاهرة، طـــ١، ١٩٤٠.

٦- تشاملتن: فنون الأدب، تعريب زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٥.

٧- جيروم ستولينتز: النقد الجمالي، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، القاهرة، طـــ٢، ١٩٨١.

٨- حسن محمد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، مراجعة عبد الأمير الأعسم، دار الشئون الثقافية، بغداد، طـــ٣.

٩- حسين نصار: ظافر الحداد شاعر مصري من العصر الفـــاطمي، الهيئـــة المـــصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.

١٠- خالد حسنين: شعرية المكان في الرواية العربية الجديدة، مؤسسة اليمامة الـــصحفية، (د. ت).

١١- خالد سعيد: حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، طـــ٢، ١٩٨٢.

١٢- خضر أحمد عطا الله: الحياة الفكرية في مصر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٩.

١٣- الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم الـــسامرائي، دار مكتبـــة الهلال، القاهرة.

١٤- ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١.
١٥- السكاكي: التصحيح أحمد سعد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٧٣.
١٦- سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثي نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
١٧- عبد المنعم تليمة: أ- مداخل إلى علم الجمال الأدبي،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة.
ب-مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، ط٣.
١٨- عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥.
١٩- عزالدين إسماعيل:التفسير النفسي للأدب ،دار العودة ،بيروت،ط٤.
٢٠- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
٢١- فوزي أمين: الحياة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السادس الهجري، مكتبة جامعة الإسكندرية.
٢٢- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦.
٢٣- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت
٢٤- محمد أبو زريق: المكان والفن، مطبعة السفير، عمان ٢٠٠٣.
٢٥- محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٣.
٢٦- منير سلطان: البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
٢٧- هالة محجوب: علم الجمال وقضاياه، دار الوفاء، الإسكندرية، ط٣.
٢٨- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د.ت).

الدوريات:

- يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف، القاهرة، ع٦.